جيسي آيزنبرغ وكريستين ستيوارت في مشهد من الفيلم

في الصالات

«كافيه سوسايتي»: وودي آلن يزداد تشاؤماً

تجاوز وودي آلن الثمانين، دون أن ينقطع عن عاداته. المعلّم الأميركي (1935) مواظب على صنع فيلم كل عام منذ 1982، بعد انقطاعات بسيطة ابتداءً من عام 1966. حتى الفضائح والبحث عن مصادر تمويل لم تثنه يوماً عن المضيّ قدماً، مع الامتناع الأزلي عن خوض المسابقات الرسمية في المهرجانات، ومشاهدة منتجه بعد الانتهاء منه. العجوز ما زال على روتينه اليومي: استيقاظ مبكر، عمل، رياضة، عمل، عزف على الكلارينت (هوايته منذ الطفولة، حافظ عليها مع الخدع السحريّة)، عمل، عشاء، 20 دقيقة من التلفزيون (أخبار أو بيسبول)، نوم. صحّته جيّدة. والده مارتن عاش 100 سنة، وأمّه 95، ما يمنح تفاؤلاً بأنّ النهاية ليست قريبة. لا يداري خوفه من الموت، من بين أمور كثيرة كالحشرات والارتفاعات وحمّامات الفنادق. هو الذي يرغب في الخلود، ليس من خلال أفلامه، بل بعدم الفناء أصلاً. في «كيفما اتفق» (2009)، يصرخ البروفيسور «بوريس» (لاري ديفيد) بهلع، معبّراً عن لسان حال مبتكره: «سأموت، سأموت».

آلن يزداد عدميةً وميلانكوليةً وهشاشةً يوماً تلو آخر. يرى أنّ «العالم مليء بالخائفين، الذين يتخبّطون ويعانون بشكل كبير». السخرية قناع أجاد ارتداءه منذ أيام كتابة النكات للصحف والبرامج المحليّة. في عمر الثالثة، اصطحبته والدته لحضور «بيضاء الثلج والأقزام السبعة» (1937)، فصارت السينما بيته الثاني. على أسفلت أزقة برونكس في نيويورك، أدرك الصغير «آلن ستيوارت كونسبرغ» جودة موهبته، وأصرّ على ألا تذهب سدى. التحق بركب السينما تحت إدارة وارن بيتي. لاحقاً، غيّر اسمه الأول إلى «وودي» تيمناً بعازف الكلارينت الأسطورة وودي هيرمان (1913 – 1987).

لم ينوّع صانع أفلام في أساليبه وطرق عمله كما فعل وودي آلن عبر العقود. بسلاسة مدهشة، تنقل بين الكوميديا الخفيفة والرومانس، وسينما الجريمة («نقطة تلاقي» 2008، «رجل غير عقلاني» 2015) والقاع النفسي المظلم («الياسمين الأزرق» 2013)، وحتى الجانر التسجيلي («زيليغ» 1983). أنجز تحفاً ملوّنة مثل «آني هول» (1977) و«الياسمين الأزرق»، وباللونين كـ «مانهاتن» (1979)، إضافةً إلى أعمال متواضعة (البدايات) ومتوسطة القيمة. عناوينه الأخيرة اتهمت بالرتابة والتكرار. أدّى أمام الكاميرا، وألّف مسرحيات وكتباً. أخيراً، دخل كوكب التلفزيون متقاسماً البطولة مع مايلي سايروس. 6 حلقات من Crisis in Six Scenes لم تكن لترى النور لولا إصرار «استوديوهات

> شريط عن الشغف والدين والنضج والشعور بالذنب والجريمة المنظّمة

أمازون» على الحصول على خدماته، ومنحه حريّة التصوير وكتابة السيناريو. الملهمون كثر. برغمان هو العرّاب الأول. مجّده مراراً، وسار على خطاه في «دواخل» (1978). أيضاً، يبرز فلّيني («ذكريات غبار النجوم» 1980)، وتشيخوف («الحب والموت» 1975)، إضافةً إلى ذكر آخرين في ثرثرات شخوصه: فرويد وسقراط وغوستاف مالر وكارل يونغ وغروشو ماركس ولويس أرمسترونغ وفرانك سيناترا وكول بورتر وفلوبير ومارلون براندو وسيزان. معرفة موسوعية اعتاد استغلالها، خصوصاً على ألسنة الشخصيات التي لعبها بنفسه. لا فرق في أن يكون كاتباً أو روائياً أو مخرجاً نصف مشهور، ما دام معظمهم أنا أخرى له. وصل به الأمر إلى الاستعانة بآلة الزمن في «منتصف الليل في باريس» (2011)، ليتمكّن من إحياء بونويل وسلفادور دالي وبيكاسو همنغواي. اللافت أنّه استطاع صبغ كل الفيلموغرافيا بلمسة لا يخطئها متابع، متسائلاً على الدوام: ما الذي يستحق النهوض من السرير كلّ يوم؟ السخرية من خواء أشياء ومفاهيم، مع كلّ ما تحمله النكتة من مرارة الهدف. الحاجة إلى الوهم، وليّ عنق الواقع بعض الشيء. نحتاج إلى الوهم والكذب وقليل من السحر، ليصبح العالم قابلاً للعيش. باختصار، المآل لا شيء.

«كافيه سوسايتي» أحدث أفلام وودي آلن، الذي أعلن انطلاق الدورة الأخيرة من «مهرجان كان السينمائي»، مسجّلاً رقماً قياسياً كثالث افتتاح بعد «نهاية هوليوودية» (2002) و«منتصف الليل في باريس». كالعادة، يبدأ الشريط بنوتات جاز، وأسماء الممثّلين حسب الترتيب الأبجدي. «بوبي» (جيسي آيزنبرغ) يصل إلى هوليوود الثلاثينيات، آتياً من برونكس في نيويورك (مسقط رأس آلن). في المدينة الحلم، تتحكّم الاستوديوهات الكبيرة في كلّ شيء. وكلاء أعمال النجوم يرسمون معالم الصناعة، ويوضّبون الأفلام. حفلات الكوكتيل في القصور الفارهة تشهد الصفقات، وتبادل الشائعات، ومكائد الطعن من الخلف.

تمرّ أسماء غنيّة عن التعريف: جينجر روجرز وهاورد فوكس وغريتا غاربو وباربرا ستانويك وجون فورد وهايدي لامار. «بوبي» يقصد خاله وكيل الأعمال ذائع الصيت «فيل» (ستيف كاريل) بحثاً عن عمل وحياة جديدة. هذا الأخير منهمك دائماً، فيكلّف سكرتيرته وعشيقته السريّة «فوني» (كريستين ستيوارت في أداء خلّاب) بتعريف ابن أخته على المكان. هو طريّ العود، حالم رومانسي، مع بديهة تهكّم حاضرة، فيما لا تكترث هي لمظاهر البيوت الكبيرة والبارات الفخمة. لن يتأخّر الحب بين الأنا الأخرى لوودي، والفتاة الحائرة التي ترضخ لما يُرسَم لها. هذا نمط كثير التكرار في بطلات آلن، الذي خرج عن القاعدة في «ياسمين» (كايت بلانشيت)، إذ منحها القوّة والمبادرة.

كذلك، يقوم بالاتكاء على مثلث حب مرّة أخرى، قبل أن يوسّعه إلى مربّع «مانهاتن». بعد اكتواء قلبه، يعود «بوبي» ليدير ملهىً ليلياً في نيويورك. ينجح في استقطاب كبار السياسة والفن، لتصبح «كافيه سوسايتي» دلالة على مستوى الحياة الرفيع في المدينة. نعم، لا جديد في عوالم وودي على مستوى العلاقات. لم يدخل كواليس الحقبة الذهبية كما فعل الأخوان كوين في «يحيا القيصر!» (2016)، بل أبقى مهن أبطاله ديكوراً لا أكثر. غير أنّ صاحب «فيكي كريستينا برشلونة» (2008) بارع في اصطياد مشاهده. ينتزع القهقهة من متن التشاؤم والمصائر الحالكة. يطوّع تشبيهات حاذقة وثرثرة محبّبة معتادة: «الحياة كوميديا كتبها مؤلف كوميدي ساديّ». يثور على نفسه باللجوء إلى الديجتال في التصوير، متعاوناً للمرّة الأولى مع السينماتوغرافي الأسطورة الإيطالي فيتوريو ستورارو. يتحدّث عن الشغف والدين والنضج والشعور بالذنب والجريمة المنظّمة. يفتح النار على مؤسسات اجتماعية، ويخرج لسانه لمعتقدات دينية راسخة. ها هو أخو «بوبي» ينتقل من اليهودية إلى المسيحية من أجل الحياة الأبدية، التي تجلب «زبائن» أكثر. أليست هذه «السلعة» مطلب وودي آلن نفسه؟

علي...

* «كافيه سوسايتي»: صالات «غراند سينما» (01/209109) ـ «أمبير» (1269)

نذير اسماعيل يعبر بصمت

يوسف عبدلكي *

لا أحد يشبه الرسام السوري نذير اسماعيل (1948 ـ 2016 ـ الصورة) أكثر من فناني القرون الماضية ـ الخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر ـ الذين كانوا يتعاملون مع الفن باعتباره حرفة، ويتعاملون مع أنفسهم باعتبارهم حرفيين. كان نذير يشبههم بعمله الدؤوب اليومي وبابتعاده عن كل ادعاء.

تعرّف الوسط الفني على أعمال نذير اسماعيل في أوائل السبعينات بأسلوبه الناضج والمتميز منذ اليوم الأول - كأنه ولد هكذا- شيء يذكّر بالكتابة الأولى الناضجة لزكريا تامر.

تعرفنا على أشخاصه المهشمين والمكتوين دون انفعال براني. كان يرسمهم واقفين هكذا، ينظرون الى المشاهد، لا ألم في وجوههم، ولا احتجاج، ولا حتى عتب. مسحوقون ولا يقولون، كأنهم سوريو ما قبل آذار 2011. كان يرسمهم بتقنية الشمع المحروق. وكم يتطابق هذا التوصيف: الشمع المحروق مع أشخاصه... العابرين الحياة من دون أي أثر، المحروقين بضغوطات العالم الحديدي حولهم. لا هوية - كما كانت الموضة الدارجة انذاك- لأشخاصه. لا شيء يشي بهويتهم الاجتماعية أو الجغرافية، لم يكونوا موظفين، ولا عمالاً، ولا تجاراً، ولا فلاحين، ولا ضباطاً. لم يكونوا شرق أوسطيين ولا عرباً ولا شرقيين ولا غربيين... كانوا مطلق بشر.

لم يكن نذير يفلسف أعماله. كان يرسم ويرسم ويرسم، تاركاً للرسم أن يصنع سواد عالمه، كما يقول ماتشادو عن الخطوات التي تصنع الطريق. في غابة الهمج، في غابة انعدام الموهبة، في غابة التبجح، في غابة الادعاء، كم سنفتقد الفنان الموهوب، الفنان العميق، الصموت. كوجوه أشخاصه. كم سنفتقد الصديق نذير اسماعيل.

* فنان تشكيلي سوري
دمشق 13-10-2016